مجلة الآداب واللغات، المجلد 24 ، العدد 01 (ماي 2024)،ص ص: 49-57

مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

التراث الثقافي اللامادي ودوره في الكشف عن التداخل بين المخيال والأنثروبولوجيا

Intangible cultural heritage and its role in revealing the overlap between imagination and anthropology

رفيق بلعيدي*،جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، مخبر التغير الإجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر.
Rafiq.belaidi@univ-biskra.dz

تاريخ المقال

الإرسال:2022/12/03 القبول: 2023-02-27 النشر: 2024-05-06

ملخص البحث

الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن التداخل الموجود بين المخيال ودوره في تشكيل الموروث الشعبي وبين سعي الأنثروبولوجيا في فهم الفنون الشعبية وأثرها الإجتماعي والثقافي والفني. فالتراث الثقافي اللامادي أحد الأسس المهمة في الدراسات الأنثروبولوجية لأهميته في فهم أحوال الشعوب وتاريخها، وإظهار هويتها الفنية والثقافية، فتعدد عناصر التراث اللامادي جعله محط إهتمام الأبحاث الأنثروبولوجية لمحاولة فهم الثقافة البشرية والأسباب التي أدت به الى إنتاج هذه المخرجات (حكاية، خرافة، أسطورة، أغاني شعبية، ألغاز...)، والتي تتشكل انطلاقا من تصورات الفرد وتخيلاته لنمط معيشته أو تفاعلاته وعلاقاته مع أفراد أسرته.

فللتراث الثقافي منعكس لما يعيشه الفرد ويتخيله، خاصة مع تطور مفهوم المخيال وازدياد دوره الشعبي والإجتماعي والفني، فالواقع الإجتماعي الذي يعيشه الفرد يعتبر من محفزات إنتاج المخيال، فالتراث الثقافي اللامادي بين الإنتاج الفكري من جهة ودراسته من جهة يمكنه توضيح العلاقة الموجودة بين المخيال والأنثروبولوجيا. وقد توصلت الدراسة إلى أن المخيال يلعب دورا محوريا في إنتاج عناصر التراث اللامادي عند بعض الأفراد والمجتمعات لتقوم بعدها الأنثروبولوجيا بمحاولة فهم ثقافتهم والبحث عن المعنى من خلال الرموز المخرجة.

الكلمات المفتاحية

التراث الثقافي اللامادي
الموروث الشعبي
المخيال
الأنثروبولوجيا

* المؤلف المرسل

Abstract

The aim of this study is to reveal the overlap between the imagination and its role in shaping the folklore, and anthropology's quest to understand folk arts and their social, cultural and artistic impact. The intangible cultural heritage is one of the important foundations in anthropological studies, because of its importance in understanding the conditions of peoples and their history, and showing their artistic and cultural identity, so the multiplicity of elements of intangible heritage made it the focus of anthropological research to try to understand human culture and the reasons that led it to produce these outputs (tale, myth, legend, folk songs, puzzles...) , which are formed from the individual's perceptions and fantasies of his lifestyle or his interactions and relationships with his family members**.**

Cultural heritage is reflected in what the individual lives and imagines, especially with the development of the concept of imagination and the increase of its popular, social and artistic role, the social reality that the individual lives is one of the catalysts for the production of imagination, the intangible cultural heritage between intellectual production on the one hand and its study on the one hand can clarify the relationship between imagination and anthropology. The study found that the imagination plays a pivotal role in the production of elements of the intangible heritage of some individuals and societies, after which anthropology tries to understand their culture and search for meaning through the symbols produced.

Keywords

Intangible cultural heritage
Folklore
Imagination
Anthropology

1. مقدمة:

سعى الإنسان منذ القديم إلى التعبير عن نفسه ومشاكله بدقة مع إثارة حسه الجمالي من خلال إهتمامه بالتراث والفن، وقد جسد ذلك في التراث اللامادي الذي خلفه (فن الطبخ، الحياكة، الأغنية الشعبية، أساطير، مسرح...إلخ). كل هذه العناصر ما هي إلا مخرجات لما يتصوره الإنسان ويتخيله وما نتج عن ذلك إجتماعيا وثقافيا، فالمخيال هو محرك للموروث الشعبي ودافع حقيقي للإنسان لخلق العديد من الفنون المتعلقة به. وقد يختلف المخيال من جماعة لجماعة أو يكون موحدا، ويظهر ذلك إما في الفن أو الثقافة والممارسات.

فالفن يتمثل في ممارسات لها كينونة حسية مجسدة يمكن تلمسها ومشاهدتها وإحساسها، تؤدي لتحريك المشاعر والأحاسيس الداخلية، كما أنه لا يبتعد كثير عن البعدين الثقافي والإجتماعي في موضوعاته ودلالاته،فهو خزان للأسرار الإنسانية والإبداعات الفردية، يحمل في مضامينه الكثير من الرموز والمعاني عن الثقافة الشعبية والحياة المعيشية للمجتمعات ومختلف الأوضاع التي تحيط بهم في كل فترة من فترات التاريخ الإنساني . والنظر إلى الفن من زاوية أنثروبولوجية باعتباره تراث خلفه السابقون بالإستعانة بالمخيال كتصور أساسي لتجسيد الأفكار والأحاسيس، يبرز من خلاله دروب التداخل بين هذه الثلاثية، ودور الأنثروبولوجيا في دراسة أثر المخيال في تشكيل التراث اللامادي ومختلف الفنون المتعلقة به.

إن موضوع المخيال من المواضيع الصعب الخوض فيها فالتصورات والفصل بين الواقعية والرمزية والواقع العلمي من الأمور المفصلية الواجب ال تعمق فيها، وقد أعتمد في الثقافة الفرنسية بمعنى "مجموعة من المتمثلات الأسطورية في المجتمع"، أما "دولزانت" فقد ربط المخيال بالرمزية، ولكن بين هذا وذاك فإن المخيال يرتبط إرتباطا وثيقا بالإنسان وعنصر أساسي في الحياة الثقافية والفنية، فمعظم الممارسات التي يقوم بها الفرد لها خلفية تصورية.

والتراث الثقافي اللامادي يعد من نواتج الحياة الثقافية للشعوب لما له من مكانة في فهم أحوال الشعوب وتاريخها، ويحوي في مضامينه العديد من التمثلات الفردية والجماعية للشعوب، والتي تسعى الأنثروبولوجيا إلى الكشف عن معاني هذه المضامين باعتبارها فعل إنساني إجتماعي وثقافي. فالكشف عن دور المخيال في الفنون الشعبية وإبراز علاقة الأنثروبولوجيا بالمخيال أدى لطرح التساؤل التالي: ماهو دور التراث الثقافي اللامادي في الكشف عن العلاقة بين المخيال والأنثروبولوجيا؟

أهداف الدراسة:

- الكشف عن دور المخيال في الفنون الشعبية.
- إبراز علاقة الأنثروبولوجيا بالمخيال.
- إبراز تمركز المخيال في بعض عناصر التراث اللامادي (الأسطورة، فنون الطبخ ، الأغاني الشعبية...).

عينة الدراسة:

تتمثل عينة الدراسة في مجموعة من عناصر التراث اللامادي الشاوي (الأسطورة، فن الطبخ، الأغاني الشعبية، اللباس...) في منطقة باتنة عند عرش "أولاد داود."

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي حيث سنقوم بتحليل مختلف عناصر التراث الثقافي اللامادي (الأسطورة، الطعام، الأغنية الشعبية ، اللباس)

للكشف عن دور المخيال في تشكيلها ثم تحليلها أنثروبولوجيا لفهم التمثلات والرمزية الموجودة في مضامينها.

أدوات الدراسة:

- **تحليل المحتوى :Content Analysis**

هو أسلوب بحثي لوصف المحتوى الظاهر بشكل موضوعي كمي أو نوعي، وهدفه جمع المعلومات عن مشكلة أو ظاهرة معينة، وتحليل مضامين الظاهرة للكشف خباياها ورمزيتها، وسوف نعتمد على هذه الأداة لتحليل بعض عناصر التراث الثقافي اللامادي عند عرش "أولاد داود": (الحكاية الشعبية، الأمثال الشعبية، الأغاني الشعبية...) لإبراز دروب التداخل بين المخيال والأنثروبولوجيا.

2. مصطلحات الدراسة:

سوف يتم التطرق إلى مفاهيم بعض المصطلحات المتعلقة بالدراسة، وهي:

1.2. التراث الثقافي Cultural Heritage:

1.1.2 لغة:

مشتق من الفعل "ورث" يرث، ورثا، وارثة، وارثا وهو ما يخلفه الميت لورثته.

أما ابن منظور (1997) فيرى أن الإرث هو الميراث وهو الأصل، إذا هو كل ما مر عليه خمسين عاما أو يزيد.

كما تعني كلمة التراث "HERITAGE" بالإنجليزية: ميراث أو التوارث وهو النقل بالورثة، والموروث كل ما هو متواتر أو منقول، أي ما ينقله السلف للخلف ويحتفظ به، ويظهر هنا أن كلمة التراث لغة في اللغات الأجنبية واللغة العربية تعني المنقول والمتوارث. (مستاوي ، 2011، ص 15).

2.1.2 اصطلاحا:

كما عرف بأنه عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل لآخر، فهو يكمل ميراث الماضي الذي تتفاعل معه وتمرره لقادم الأجيال. (شاقور،2017،ص 19).

3.1.2 التعريف القانوني:

عرف التراث في القانون الوطني الجزائري بشكل واضح في قانون 98-04 المؤرخ في 1998 م في المادة الثانية على الشكل التالي: (يعد تراثا ثقافيا للأمة، في مفهوم هذاالقانون، جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، و المنقولة، الموجودة على أرض الوطن و عقارات الأملاك الوطنية و في داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، و الموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية و الإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا . (1998).

و تعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات إجتماعية و إبداعات الأفراد و الجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعبر عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا. (1998).

2.2. المخيال L' imagination:

المخيال ككلمة ومفهوم يعتبر وليد العهد إذ ظهر على يد عالم التحليل الفرنسي "جاك لاكان" في منتصف هذا القرن، وقد استعمله الفرنسيون بمعنى "المخيال الجماعي هو مجموعة من المتمثلات الأسطورية للمجتمع". (الجوهري، 1998، ص 199).

المخيال هو الصورة الإجتماعية والنسق الصوري الذي تكونه الجماعة البشرية حول أنماط ثقافية مختلفة، وهي صورة معنوية، إعتباطية، رمزية، مشتركة، ومجال للتخيل الإجتماعي. (كساي، 2013، ص27).

أما كانط فيقول عن المخيال: "إن القائد في ميدان السياسة مثله مثل الفنان في ميدان علم الجمال، يقود الناس بواسطة صور يتقن عرضها مكان الواقع: حرية الشعب، التراتبية، المساواة...). (الشبة، 2014، ص 16).

أما "غاستون باشلار" وضع مفهومه للرمزانية المخيالية في بداهتين اثنتين:

- الخيال هو ديناميكية أو فاعلية منظمة.
- الديناميكية المنظمة عامل أساسي في التجانس الحاصل في التمثل.

بمعنى أن الخيال عنده هو "إرادة ديناميكية تعمل على إعادة تشكيل النسخ المتغذية بواسطة التصور" (الشبة، 2014، ص 16).

3.2 الأنثروبولوجيا Anthropology:

الأنثروبولوجيا في الوقت المعاصر تعتبر علم قائم بنفسه لها مناهجها وتقنياتها ومواضيعها التي تدرسها ولها عدة تعريفات منها:

الأنثروبولوجياAnthropologie، هي كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من قطعتين: "أنثروبوس، " Anthropos، ومعناه "الإنسان" و "Logos"بمعنى "العلم"، منه يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث المعنى اللغوي هو "علم الإنسان"، أي العلم الذي يدرس الإنسان. (الشماس، 2004، ص 12).

أما "تايلور" فيعرفها ب" الأنثروبولوجيا هي الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان، إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية، أي أنها تتناول مجموعة من المواضيع المختلفة من التخصصات والعلوم التي تتعلق بالإنسان". (الشماس ، 2004، ص 13).

أما في فرنسا فيعتمد "كلود ليفي ستروس" وتلاميذه مفهوم آخر هو: "الإناسة هي معرفة الإنسان معرفة إجمالية تشتمل على موضوعها بكل اتساعه التاريخي والجغرافي، وتتطلع إلى تكوين معرفة قابلة للتطبيق على التطور البشري بأسره، وتسعى لإستخلاص نتائج إيجابية أو سلبية صالحة للتعميم على كل المجتمعات البشرية ابتداء من المدينة المعاصرة الضخمة وانتهاء بأصغر قبيلة ميلانيزية". (لومبار، 1997، ص 16).

3. مظاهر المخيال في التراث الثقافي اللامادي عند الشاوية "أولاد داود":

لكل تراث ثقافي مخيال يرتكز عليه في تشكله ورمزيته، وهذ لا يختلف في الموروث الشعبي لعرش "أولاد داود"، فأفعالهم وممارساتهم مرتكزة لتمثلات وتصورات ذات خلفية إجتماعية وثقافية، وهذا ما سنحاول الكشف عنه بالإعتماد على مجموعة من عناصر التراث الثقافي اللامادي ونوع المخيال الذي يحركها ودور الأنثروبولوجيا في تفسير تلك الإعتقادات.

1.3. الأسطورة:

اختلف العلماء في ماهية الأسطورة أو إمكانية تقديم مفهوم موحد للأسطورة، لأن الأسطورة تتعدى المجال الواقعي وتكتسي غطاء الباطنية والغموض، وتتشبع بالعديد من الأفكار والرموز. ويرجع الباحثون ظهور الأساطير إلى عصر توليد الأساطير، والذي يماثل العصر الحجري والحديدي في تمثيله طورا من أطوار ارتقاء الفكر الإنساني...أو وظيفة من وظائف الذهن الإنساني، لأن هناك أساطير صنعت واخترعت في عصر التاريخ. (سعيدي، 2020، ص 80). أما الباحث "مصطفى سالم شاكر" فقد قدم لها تعريف مميزا في قاموسه "الأنثروبولوجيا انجليزي- عربي" بقوله:

" Mythe-الأسطورة: قصة تقليدية، من عالم غير موجود، وزمن غير معروف، ولمؤلف مجهول. أبطالها

خياليون، وهم رجال، حيوانات، آلهة، أرواح، ومخلوقات فوق طبيعية، وتفسر الأسطورة نشأة ومعاني الأعراف والمعتقدات والظواهر الطبيعية، أو أية حقائق أخرى يعجز أفراد المجتمع عن تفسيرها". (1981، ص 659.). كما يضيف "شاكر سليم" (1981) أن: "مواضيع الأسطورة الرئيسية هي: خلق الكون والإنسان، الموت، وكيفية حصول الشعب على الموطن الذي يسكنه، وما يشبه ذلك. وتلعب الأسطورة دورا رئيسيا في الحياة الإجتماعية والدينية للشعوب البدائية، خاصة أن طقوس تلك الشعوب واحتفالاتها ونظمها الخلقية والإجتماعية، تحتاج إلى تبرير أو ربط بالماضي أو إلى جو من التقديس".

أما عميد الأنثروبولوجيا "كلود ليفي ستروس" فقد عرف الأسطورة على النحو التالي: "الأسطورة قصة قصة ترويها الشعوب أو تحب سماع روايتها فهي تروي أحداثا من الزمن الماضي، زمن ما قبل خلق العالم... أو من الأزمنة الأولى... ولكن القيمة الجوهرية التي تتميز بها الأسطورة تتمثل في كونها تروي أحداثا من المفترض أنها وقعت في لحظة ما من الزمن وتشكل بنية ثابتة، والتي قد تكون مرتبطة في نفس الوقت بزمن الماضي والحاضر والمستقبل". (سعيدي، 2020، 93-94).

تعد الأسطورة أحد الظواهر التي تكتسي قدسية لدى "أولاد داود" وأحد عناصر التراث الثقافي غير المادي، إذ تعرفها الأنثروبولوجيا بأنها "قصص تأسيسية يتناقلها أعضاء مجتمع من جيل إلى جيل منذ أقدم العصور، فهي تروي تاريخا مقدسا، وحدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، أي تحكي كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون أو جزئية كجزيرة". (إلياد،1991، ص 10).

هناك العديد من الأساطير التي تتناقل بين ألسنة هذا المجتمع، كأسطورة "شجرة الزيتون" وهي شجرة تقع في أحد الجبال في قمة وادي يطلق عليه إسم "أخناق ن ثزمورث" أي "واد شجرة الزيتون"، ويحكى أنه يسكن هناك مجموعة من الجن لا يرون بالعين المجردة إلا إذا أرادوا هم ذلك، فيحكى أن إمرأة من هذا المجتمع أخذتها إحدى نساء الجن إلى بيتهم والذي يقع تحت "شجرة الزيتون" وقد استقبلوها بحفاوة وقدموا لها العديد من المأكولات وأساور من ذهب. لذا مازال الناس يتبركون لهذه الشجرة طلبا للرزق والذهب والمطر، مع تقديم مجموعة من القربان على شكل "شموع، نقود معدنية أو ورقية". وهذا ما يؤكد تواجد المخيال الأسطوري في الموروث الشعبي والذي لا يزال قائما إلى اليوم.

وهنا يأتي دور الأنثروبولوجيا في دراسة هذه الأسطورة والتي تبحث عن أسباب التبرك عند "شجرة الزيتون" أو عند الولي الصالح، والذي يأتي من إعتقاد من الشعب وإيمانهم بأن التبرك وقيام الوعدة عند هذه الشجرة سيؤدي لتلبية رغاتهم وأدعيتهم، كما يرافق قيام السكان بالوعدة قرب "شجرة الزيتون" موضوع إجتماعي يتمثل في التضامن الإجتماعي حيث يقدم كل شخص ما لديه من طعام وكل يساعد بما يقدر لأجل إنجاح هذا الحدث، إضافة لذلك تتم توزيع كميات معتبرة من الطعام على الفقراء والمحتاجين داخل القرية، إلا أن هذا الحدث تراجع دوره نسبيا في الأعوام الأخيرة خاصة بعد وفاة أغلب كبار العرش الذين كانوا مسؤولين عن تنظيم هذا الحدث.

كما أن هناك أسطورة أخرى حول أحد الأولياء الصالحين وقدرته على الشفاء والطيران من مكان لمكان بعد تحوله لطائر، وتحكي الأسطورة أن هذا الولي الصالح كان يساعد السكان مجانا، وهذا لم يعجب الجنود الفرنسيين والذين بعد طول بحث عنه عرفوا مكانه، ولما انهموا بإلقاء القبض عليه تحول إلى طائر وطار للقرية المقابلة . وله أكثر من حدث حول تحوله

لطائر، مثل تحوله لطائر وطار من مدينة "منعة" الواقعة جنوب غرب باتنة إلى مدينة "أريس" التي تبعدها ب 45 كم (حسب بيانات خرائط قووقل)، وذلك لمساعدة أحد الأشخاص المرضى الذي كان على فراش الموت، وما أن وصل إليه ووضع يده عليه وهمس ببعض الكلمات لينهض المريض سليما معاف ى ليطير مرة أخرى إلى مدينة "منعة". فلا تزال هذه الأسطورة متداولة بين أوساط الشعب.

لأسطورة الولي الصالح أكثر من مضمون ورمز يمكن استخراجه والبحث عن معناه:

- **مقاربة أخلاقية:** تسعى أسطورة الولي الصالح إلى الحث على مكارم الأخلاق، وضرورة التحلي بالقيم الأخلاقية. ومساعدة الولي الصالح للمريض، دلالة على ضرورة فعل الخير ومساعدة الضعيف بدون انتظار مقابل لذلك، والتحلي بروح التضامن بين سكان القرية.
- **مقاربة دينية:** الولي الصالح عند أبناء "عرش داود" يعتبر رمز ديني ومن آل البيت، له من المعرفة والحكمة ما يميزه عن باقي الأفراد، فلا يمكن التشكيك في كلامه أو أفعاله، فيطغى الجانب الروحي على الجانب العقلي. والولي الصالح هو الطبيب عندهم وهو الإمام والمسؤول عن الخطاب الديني الموجه للمجتمع، لذلك لجأ إليه أفراد القرية لمساعدة المريض على الشفاء، لإعتقادهم بوجود قوة الشفاء في يديه لقربه من الرسول وتقربه الكبير من الله.

3. 2. فن الطبخ:

الطعام محور تنظيم المجتمع ومرآته، سواء على أوسع المستويات أو أكثرها حميمية، وهو مرتبط بكثير من أنواع السلوك وله معان لا نهاية لها. (كوينهان، 2013، 19). ويرتبط الطبخ ارتباطا وثيقا بالنساء أكثر من الرجال الذين غالبا ما يتعلم أحدهم تقنيات الطبخ وتحضير الطعام، مما يجعل النساء مسؤولات بصفة أكبر عن تحضيره وتوزيعه، وهن أكثر جنس معروف بقيامهن بدور الرعاية داخل المنزل، فيكن بذلك الفئة المسؤولة عن هذا العنصر التراثي الثقافي والمشبع بفكر مخيالي كبير.

إن عملية الطبخ وتحضير الطعام تكتسي أهمية كبيرة عند "آيث داود"، ويحضر في العديد من المناسبات والأحداث ولكل أكلة تمثلاتها التي ترتكز عليها، فنجد عند ولادة المرأة يتم تحضير طبق معين من الطعام يدعى بالشاوية "زريرة" وهي أكلة تحوي على كمية من التمر "الغرس"، والسميد والتمر اليابس حيث تهرس وتطحن، وتطهى فوق نار هادئة لتقدم للنافس ساخنة، ولا تخلو أي مناسبة فيها مولود من هذه الأكلة حيث تعطى الأولوية للنافس ثم يأتي الدور على البقية لتذوقها. فنجد أن المخيال يحضر في الطعام أيضا.

فالطعام ضروري للعيش ولا بد أن يستفيد من الجسد بشكل يومي وبكميات معتبرة، خاصة المريض الذي يحتاج أنواعا معينة من العناصر الغذائية التي تساعده على عملية الإستشفاء بسرعة، وإحساسه بالجوع قد يؤثر على سرعة عملية الشفاء، حيث يشير أرنولد إلى أن: " الطعام كان وما زال، وسيظل قوة، بأكثر أشكالها الأساسية والملموسة والتي لا مفرر منها" (كوينهان، 2013، ص 21). فقلة الطعام أو الإحساس بالجوع دليل على افتقار الشخص لتلبية حاجة بيولوجية وإشباع رغبات الكفاف الأساسية، إذ يقول الباحثان "لابيه وكولينز" انه: "لا توجد علامة مطلقة

على فقدان الحول والقوة أكثر من الجوع" (كوينهان، 2013، ص21).

والتفسير الأنثروبولوجي لطعام "زريرة" حسب ثقافة "أولاد داود" هو أن مكونات هذه الأكلة تحوي على العديد من العناصر الغذائية "بروتين، نشويات، كربوهيدرات..." التي تساهم في إلتماء جرح النافس واستعادة طاقتها في أسرع وقت، كما أنه في فترة ما وقت الإحتلال كانت هذه المكونات كل ما تملكه الأسر الشاوية، فقلة الطعام وصعوبة الحصول عليه جعلهم يعتمدون على "زريرة" كمكمل غذائي.

إضافة لذلك نجد المخيال يحضر في الطعام في اليوم الثاني من زواج الفتاة، فتلزم العروس الجديدة بتحضير أكلة تدعى "تريدة" والمستعملة في تحضير "الشخشوخة"، فيقوم أهل العريس بتحضير المكونات اللازمة ويبقون في دور المتفرج على العروس ومدى قدرتها على تحضير طعام "تريدة" بسهولة، وهو عبارة عن عجينة يتم تقطيعها لقطع صغيرة وتشكيل كرات ذات حجم رقيق جدا، والهدف هنا هو إمكانية إيصالها للفرن بكامل حالتها السليمة دون أن يتقطع العجين بين يديها، حيث يسري الإعتقاد الشائع بأن العروس التي تتقن تحضير هذه الأكلة دليل على خبرتها في الطهي وتأقلمها على الأشغال المنزلية في بيت أبيها قبل الزواج، كما يثبت هذا أن الزوجة سوف تشبع زوجها وتكون إمرأة صالحة، ليهنأ قلب أم العريس على ابنها، عملا بمقولة "الوصول لقلب الرجل يبدأ من معدته". فالمرأة القادرة على تحضير الطعام يمكن لها أن تعتني بعائلتها وينظر إليها أنها ذات كفؤ ومسؤلية.

3.3 الأغنية الشعبية:

الأغنية الشعبية تتخذ شكلا تراثيا، فنيا وأدبيا، لها صدى كبير في الوسط الشاوي، ولكل مناسبة أغانيه الخاصة المرتبطة بها، والتي تشكلت عن طريق محاكاة الحياة اليومية والثقافية للشعوب، فهي تعكس هويتهم وتشكل تراث المنطقة ورمز لها، فقد عرفها "ألكسندر هجرتي كراب" بأنها "قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف كانت تشيع بين الأميين في الأزمان الماضية، ولبثت تجري في الإستعمال لفترة ملحوظة من الزمن، هي فترة قرون متوالية في العادة" (عجال و موساوي، 2021، ص 53).

كما عرفها "فوزي العنتيل" بأنها: "قصيدة مجهولة النشأة بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانا طويلة". (1978، ص 247).

فنجد عند عرش "آيث داود" أغاني حول العمل، خاصة في مجال الفلاحة والزراعة وأيام الحصاد، وأغاني خاصة بالأعراس عند دخول العروس لبيت زوجها أو خروجها من بيت أبيها، وأغاني أخرى بالأفراح، أغاني تلحن في أيام الوعدة، كما هناك أغاني ثورية أو مايدعى بالأغنية الملتزمة، وغيرها من المناسبات، ولكل أغنية تصورها الخاص الذي ساهم في انبثاقها. على سبيل المثال:

- هذه الدار ماحلاها .
- مولاها حبيب الله.
- عمرهالوا ياربي .
- بالقرآن وذكر الله.

كلمات هذه الأغنية خاصة تغنى في العرس أو في بيت الزوجية، ويعد هذا طلبا لزيادة البركة في البيت وحفظه ورعايته من عند الله تعالى، حيث يتم ترديد كلمات الأغنية أكثر من مرة بمصاحبة آلة "البندير". ويستنتج أن الشاوية كانو ا يقومون بأعراس محافظة على شريعة الله وسنة رسوله، فيدعون الله الى لزيادة البركة في ذلك المنزل وغرس الحب والوئام بين الزوجين. فقد أصبحت هذه الأغنية متداولة وتراثية عند الشاوية وحاضرة في كل عرس يقام.

كما نجد أغنية أخرى يضرب بها المثل في العمل:

- إعلمد لفجر آ يامناين.
- يقرب أذيصبج أوثيرارذ.

يتم ترديد كلمات هذه الأغنية في الصباح الباكر من العرس بمعناها " بزغ الفجر يا أهل وقد قرب الصباح ولم تلعبوا" وهذا معناها الحرفي، ولكن في الأساس يقصد بها أن فجر الصباح قد ظهر ووجب النهوض للعمل، لأن في تصورهم أن الأعمال تنجز في الصباح الباكر، وكل شخص ينهض باكر هو شخص مسؤول، فيغتنمون الساعات الأولى من الصباح لإنجاز مختلف أشغالهم، فالرجل يقوم بأعمال فلاحية والمرأة تنجز شغل البيت.

4.3 اللباس:

اللباس تراث ثقافي لامادي يحمل أهمية كبيرة في المجتمعات، ولا يقل عن اهتمامها بالأكل والشرب والسكن، لما له من وظائف عديدة داخل المجتمع الواحد كالحماية، الجمال، القوة الإجتماعية...إلخ، وله عدة تقنيات ومهارات دقيقة للخروج بنتاج يتلائم مع القيم المجتمعية وهيئة من يلبسه متضمنا عامل المخيال الجمعي والثقافي والأسطوري لذلك المجتمع. فتعرفه "علية عابدين" أنه: "الشيء المنسوج من الشعر أو الصوف أو القطن أو جلد الحيوان، أما الملبس فهي تعني الملابس التي تغطي الجسم كله بأنواعه المختلفة" (تمساوت، 2021، 537). أما عالم الإجتماع "رولان بارث" فيقول: "أن اللباس في نفس الوقت موضوع تاريخي وظاهرة اجتماعية، ويعتبر كدال خاص على مدلول عام" (تمساوت، 2021، 537). فاللباس له قيمة تاريخية واجتماعية ودلالات ثقافية يجب الكشف عنها.

لا يختلف الأمر كثيرا عند الحديث عن أهمية اللباس في ثقافة عرش "أولاد داود"، فهو يبرز حفاظ أهل المنطقة على أعرافهم التراثية الثقافية، والتمسك بالعادات والتقاليد، وما يميز اللباس الشاوي هو دخول المخيال في عملية النسج والتصميم، فيتضمن اللباس التقليدي عدة رسومات لها بعد رمزي، ف "الملحفة الشاوية" تنسج بلون أبيض في اعتقاد أهل المنطقة أنه دليل على العفة وشرف المرأة، مع وجود عدة نقوش عليه، تشير لحفظ المرأة من الشرور أو العين، أو من محاولة التعدي عليها. فوجود هذه النقو ش يعد أمرا إلزاميا وإلا فإن المرأة ستتعرض لمختلف الأحداث السيئة، وهي محاولة لإسترضاء القوي الغيبية التي شكلها المخيال الجمعي عن طريق لباس المرأة الشاوية.

يتواجد المخيال وبشدة في الزرابي والمفروشات التي ينتجها الشاوية، حيث تتجمع النساء في بيت إحداهن والتي هيأت كل شيء لبدأ عملية النسج، ليصبح شغلهن الشاغل، ويصاحب ذلك مجموعة من الأغاني التي وحسبهن تساعد في سرعة اتمام هذا النسيج، ويحضر المخيال في كون هذه المفروشات التي لا تنتهي ولا تتم إلا بتواجد عدة نساء وتضامنهن فيه. فلا يجب في أي حال من الأحوال أ ن يدخل شهر يناير (رأس السنة الفلاحية) على النسيج وهو غير جاهز، وإلا فإن الأرواح الشريرة من العام الماضي ستلاحقه ولن يكون فيه بركة، إضافة لذلك لا يجب أن يدخل الربيع على أي منزل عند الشاوية وهو خال من تركيب أعمد النسج التقليدي، وهو دلالة على أن المرأة غير مهتمة بالمنزل ولا يهمها تجهيز منزلها لأولادها وزوجها. والأهم أنه عند دخول فترة "لعواشر" وهي تشمل ثلاثة أيام قبل "عاشوراء" و ثلاثة أيام قبلها ويوم "عاشوراء" أيضا، أي مدتها سبع أيام كاملة، لا يجب فيها النسج إطلاقا وإلا سيلعن المنزل وأهله جميعا، فهي فترة عطلة من كل الأشغال الكبرى ما عدا تحضير الطعام والإحتفال بعاشوراء فقط.

تتضمن عملية النسج أيضا وضع عدة أشكال في متن الزرابي والنسيج ، والمستوحاة من البيئة

الطبيعية والمعيشية لأهل المنطقة، فلا يوضع رمز إلا وله قيمة اجتماعية وثقافية، كرمز "المشط" الذي يستعمل بكثرة في الزرابي ومستوحى من الأدوات التقليدية المستعملة في الحياكة، وكثرة الأسنان فيه دليل على التضامن والإتحاد عند أهل المنطقة. وعديد الرموز المستعملة التي يعود سبب وجودها لتخيل الأفراد أن ذلك الرمز يستطيع حماية العائلة من الأرواح الغيبية أو القدرة على الشفاء وغيرها،

5. خاتمة

تتعدد عناصر التراث الثقافي غير المادي عند الشاوية، بين غناء، طبخ، أساطير، ولكل طريقة ممارساتها الفنية الخاصة بها، وأغلب هذه العناصر التراثية لها علاقة بتصورات الشاوية حول حياتهم المعيشية التي عاشوها أو تناقلوها عن أجدادهم، وتحمل نوعا من أشكال الرمزية والقدسية أحيانا، فيتم إحيائها في كل مقام مناسب لها، وهذا من أجل الحفاظ عليها وتمريرها للجيل المولي.

ل كن من خلال هذا الموروث يمكن إستشعار تأثير المخيال على إحيائهم له، فيتم إختيار عناصر دون أخرى في مختلف المناسبات والتي لها تصور مسبق ودلالة رمزية عند "أولاد داود"، ولفهم دلالات هذا المخيال وأثره في تشكيل التراث، تأتي الأنثروبولوجيا للبحث والتقصي عن الأسباب وتفسير هذه الممارسات والرموز، إستنادا لعدة معلومات تجمعها من خلال ميدان البحث. مما يؤكد وجود علاقة معرفية بين المخيال والأنثروبولوجيا في تشكيل وفهم التراث، فالأول يعتمد عليه في بناء التراث اللامادي بمختلف عناصره أما الثاني فيستعمل في فهم التراث وأثر المخيال في ممارسة ذلك الموروث.

ومن أهم النتائج المتواصل إليها هي:

- التراث الثقافي اللامادي مخزون ثقافي واسع يتضمن مختلف الأنساق والبنى الثقافية لدى عرش "أولاد داود."
- يدخل المخيال في العديد من الممارسات الثقافية عند عرش"أولاد داود" من خلال عدة تصورات ورموز، ويظهر في مختلف أجزاء الموروث غير المادي مثل: (الحكاية، الأسطورة، الأغنية الشعبية، اللباس...).
- من خلال التفسير الأنثروبولوجي للتراث اللامادي لعرش "أولاد داود" يتضح جليا أن المخيال ركيزة أساسية لإنتاج الثقافة لدى الشاوية ومختلف الفنون الشعبية.
- التداخل المعرفي بين المخيال والأنثروبولوجيا تكاملي، حيث يكمل أحدهما الآخر، فبينما يظهر المخيار على شكل تصور أو رموز فإن الأنثروبولوجيا تحاول إيجاد العلاقة الدلالية لهذه الرموز ومدى إرتباطها بالفكر المجتمعي الشاوي.

- المصادر والمراجع:

1. (عجال، موساوي، 2021، 53)، التراث الشعبي في منطقة الزيبان.
2. (كساي، 2013، 27)، صورة الرجل في المخيال الإجتماعي القبائلي.
3. (لومبار، 1997، 16)، مدخل إلى الإثنولوجيا.
4. (مستاوي، 2011، 15)، الحماية الدولية للممتلكات الثقافية في النزاع المسلح.
5. (شاقور، 2017، 19)، حماية التراث الثقافي في ضوء القانون الوطني والدولي.
6. (الجوهري، 1998، 199)، قاموس علم الاجتماع.
7. (الشماس، 2004، 12-13)، مدخل إلى علم الإنسان - الأنثروبولوجيا.

8. (العنتيل، 1978، 247)، بين الفلكلور والثقافة الشعبية.
9. (قانون 98-04، 1998)، الجريدة الرسمية رقم 44: قانون حماية التراث الثقافي.
10. (إلياد، 1991، 10)، مظاهر الأسطورة.
11. (ابن منظور، 1997، 200)، لسان العرب.
12. (الشبة، 2014، 16)، مفهوم الخيال عند أركون.
13. (سعيدي، 2020، 80، 93-94)، الأنثروبولوجيا والأسطورة كلود ليفي ستروس أنموذجا (1908-2009).
14. (شاكر مصطفى، 1981، 659)، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي – عربي.
15. (كوينهان، 2013، 19،21)، أنثروبولوجيا الطعام والجسد.
16. (تمساوت، 2021، 537)، مضامين رسائل الإتصال غير اللفظي: اللباس التقليدي للمرأة القبائلية أنموذجا.